خواطر مبعوث – حول كامب ديفيد

الأخ عبد الرحمن النقيب
جامعة اكستر – إنجلترا

العظة البالغة من كامب ديفيد

لا أدري لماذا فرضت محادثات كامب ديفيد نفسها فرضاً على كل فكري ومشاعري طوال الأسابيع الماضية ولا لماذا شغلت نفسي بجوار مهامي الدراسية المتعددة بأن أطالع كل ما كتب حولها من كل ما وصل إلى يديّ من مصادر بالعربية والإنكليزية . ولقد كنت أقرأ كل ما أقرأ حول تلك المحادثات بطريقة مختلفة عن قراءاتي لغير ما ذلـــك مـــن الأخبار والحوادث ، فقد كنت أقرأ ثم أدع القراءة لأفكر وأتأمل ، ثم أعود لكي أقرأ من جديد . وكان عقلي يحاول أن يستوعب كل هذا الذي حدث وكل هذا الذي طرأ على شخصية الإنسان العربي . ولقد خرجت مـــن قـــراءاتي المتعددة أن نتائج هذه المباحثات والتي توصل إليها الجانبان المصري والإسرائيلي هي أفضل ما يمكن أن يـــصل إليـــه الجانب المصري بالفعل وأن أكثر من هذا لم يكن في الإمكان على الإطلاق . وأسباب استحالة الوصول إلى ما هـــو أفضل من ذلك تتلخص في سبب واحد هو (حالة التردّي الذي وصل إليه عالمنا العربي المعاصر) من ناحية ، والاتفاق الأمريكي الإسرائيلي والسوفييتي على تثبيت الكيان الإسرائيلي في جسم أمتنا العربية ودعم وجوده من ناحية أخرى .

ولعل أكبر عظة يمكن أن يستخلصها العرب من محادثات كامب ديفيد أنه ليس بالخطب والكلام المعسول تعـــاد الأوطان الضائعة ، وليس بالترامي في أحضان الشرق أو الغرب يمكن أن تُحفظ الكرامة العربيـــة . ولعـــل العـــرب يتعلمون ألاّ يتحدثوا كثيراً ولا يثقوا كثيراً في صداقة الروس أو صداقة الأمريكـــان فكلـــهم مجمعـــون علـــى زوال (فلسطين) وزوال (الكيان الفلسطيني) كرمز لتحطيم الكرامة العربية والصمود العربي . إنّ ما لا يمكن فهمه بحـــال أن يستولي شعب دخيل على أرض مقدسة مباركة ويطردوا أهالي هذا البلد ويقيموا بقوة السلاح والحديد والنار كيانـــاً غريباً لأنفسهم على تلك الأرض ثم يبارك الضمير الإنساني مثل هذا العمل الإجرامي القذر . إنّ مثل هذا العمـــل لا يمكن أن يرضاه إلاّ أحد شخصين : إنسان بلا ضمير أو إنسان بلا حول ولا قوة . وعبثاً حاول عقلي القاصر الـــذي درّس مادتي (القومية العربية) و(الصهيونية) لطلاب كلية التربية لجامعة المنصورة مدة عامين قبل البعثة عبثاً حاول هذا العقل أن يفهم كيف يرضى الإنسان العربي في أي مكان أن يعطي ثراه العربي لمغتصب ويسلم لها بذلك على أنه حق مشروع . وهل إلى هذا الحد وصل بنا اليأس أن نعترف بأن الأمة العربية كلها لم تعد قادرة بأي حال من الأحـــوال على تحرير أرضها وإعادة قدسها الشريف ؟ وهل حقاً كتب على هذه الأمة أن تظل ضعيفة هكذا ، ممزقة هكـــذا ، مستباحة الحمى والثرى !! أم أن هناك بصيص أمل رغم (كامب ديفيد) أن تسري روح جديدة على تلك الأوصـــال

الممزقة فتوحدها وتلك النفوس المتهالكة فتشد من عزمها وتدعوها من جديد إلى حمل راية الكفاح والجهاد المقـــدس من أجل تحرير الأوطان المغتصبة وإعادة الحقوق الضائعة . لقد ضاعت القدس من أيادي المسلمين من قبل عـــشرات الأعوام ولكنها لم تضع إلى الأبد ويقيني وإيماني أنها لن تضيع اليوم وإلى الأبد . وكما عادت (القدس) على يد صلاح الدين الأيوبي فأنا واثق كل الثقة أن أمتنا العربية لن تعدم صلاحاً يعيد لها كرامتها وقدسها بإذن الله . ويومئذ يـــدرك العالم كله أن (الإنسان العربي) لم يستسلم قط ولن يستسلم نهائياً بإذن الله . ﴿ ... **وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَـــى أَمْـــرِهِ** ... ﴾ [يوسف : 21] .

إذا لم نتعلم من أسلافنا

فلنتعلم من عدوِّنا

يعلم الله مقدار المرارات التي سببته لي محادثات كامب ديفيد ونتائج تلك المباحثات ، ولعل أكثر ما آلمني أن الدول التي سمّت نفسها (جبهة الرفض) لم تفعل شيئاً إيجابياً وأظنهم لن يفعلوا شيئاً على الإطلاق سوى مزيداً من الانقـــسام ومزيداً من الهجوم على بعضهم البعض . ويعلم الله أنه لا توجد دولة واحدة من تلك الدول قادرة على أن تخـــوض معركة المصير .. ويعلم الله أيضاً أنه لا توجد دولة واحدة من بين تلك الدول تأمل أو ترغب أو تخطط جدياً لخوض مثل هذه المعركة .. ذلك أنه لا توجد دولة واحدة من تلك الدول ولا غيرها من الدول العربية قد رضيت أن تـــتعلم من أسلافها . لقد علّمنا سلفنا الصالح أن نعد أنفسنا بكل ما نستطيع من قوة علمية وعسكرية . وعلمنا سلفنا الصالح أن لا نثق بأعداء ديننا وأمتنا .. وعلمنا سلفنا الصالح أن انتصارنا في إيماننا بالله ورسالاته ورفع راية الجهاد حتى نلقى الله وهو عنا راض ولكننا تجاهلنا هذا كله . لم نعدّ لعدونا ما نستطيع من قوة ومن رباط الخيل وكان في مقدورنا أن نفعل ذلك وما زال هذا في مقدورنا . وأعطينا الثقة لأعداء ديننا وأمتنا من روس وأمريكان وإسرائيليين و لم ننل مـــن تلك الثقة إلى كل مذلةٍ وهوان . وحاربنا تحت رايات غير مخلصة لله ولرسوله فلم نحقق النصر الذي وعدنا الله إياه . ولست أدري !! إذا كنا نرفض أن نتعلم من أسلافنا ونظن في ذلك سلفية أو رجعية فلماذا لا نتعلم من عدونا ؟

لماذا لا نتعلم من هذا العدو كيف أعد العدة لنا حتى استطاع أن ينتزع أرضنا المقدسة ويطرد شعبنا العربي مـــن دياره .. وكيف اشترك كل طفل وكل امرأة في بناء هذا الوطن المغتصب ؟! كيف لا نتعلم من عدونا كيف يكـــون القتال تحت راية الإيمان وحرارة العقيدة ؟ كيف لا نتعلم منه ألاّ نصادق إلاّ من يخدم قضيتنا ولا نحـــارب إلاّ أعـــداء تلك القضية ؟ كيف لا نتعلم منه أن (الموت الشريف) هو الطريق الوحيد أحياناً للحياة الكريمة .. أرجو ألا تحجـــب مباحثات كامب ديفيد تلك المعاني الشريفة عن مشاعر شعوبنا العربية وإيماني أن تلك المباحثات لا يمكن أن تحجـــب عنا أمثال تلك المعاني الرائعة التي ستظل بيننا ما ظل قرآن يتلى وكعبة تزار .. ﴿ ... **وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَـــى أَمْـــرِهِ** ... ﴾ [يوسف : 21] .

أيها الشباب العربي

ليس هذا وقت الحزن

وإنما هو وقت العمل

إلى هذا الشباب العربي الحزين الذي تقطعت أحشاؤه حسرات وهو يتابع نتائج كامب ديفيد أهمس في أذنه تلك الكلمات : إنّ هذا الوقت ليس وقت الأحزان . إنّ أحزانك أيها الشباب الأبي لا بد أن تتحول إلى طاقـــات لبنـــاء عالمك العربي المتداعي البنيان . لقد أراد أعداء أمتك أن يمزقوها وفعلوا . وأرادوا أن يفنوا دولة من دوله وظنوا أنهـــم فعلوا عندما أزالوا اسم فلسطين القدس وشردوا شعب فلسطين في الآفاق .

أيها الشباب العربي الحزين !! ليس هذا وقت الأحزان فالخطب أدهى وأمر . وماذا يجدي حزننا أيها الشباب .

لقد تقدم أعداؤنا وتأخرنا ، وقوي عدونا وتسلح بأحدث الأسلحة وأهملنا نحن ذلك ، وحارب عدونا تحت راية إيمان وعقيدة وحاربنا نحن تحت رايات مستعارة ودخيلة على عقيدتنا . فإذا أردتم أن تعبّروا عن وطنيتكم وإخلاصكم الحقيقي لتلك الأمة فعليكم بالعمل من أجلها .. عليك أيها الشباب الحزين أن تحيي روح الصمود في تلك الأمة وأن تذكرها بدينها وعقيدتها وأمجادها . عليك أيها الشباب أن تفجر ينابيع الثقة والإيمان في قلوب هذه الأمة .. عليك أن تنتشر في القرى والدساكر والمدن وتعلم الناس واجبات المسلم وعقيدة المسلم . عليك أن تعمل ليل نهار وبكل جهد وهمة واقتدار من أجل إحياء الثقة في قلوب هذا الجيل .

واعلم أيها الشباب العربي الحزين أن روح أمتك أقوى من كل حدث وأقوى من كل فرد زائل وأبقى مـــن أيـــة اتفاقات أو محادثات . وفي مقدورك أيها الشباب الحزين أن تغير من هذا الواقع المرير لأمتك .. في مقـــدورك أيهـــا الشباب الحزين أن تستسلم لأحزانك فلا تفعل شيئاً وفي مقدورك أن تحول حزنك المقدس إلى شرارة مضيئة تـــضيء لك ولغيرك الطريق . إنّ شباب عدوك قد استطاع أن يغتصب أرضك وأن يقيم عليها وطناً ومـــستعمرات فهـــل لا تستطيع أنت أن تسترد هذا الوطن ؟ إنّ حقك في تلك الأرض أقوى من باطل عدوك فهل تعاهد الله أن تحول حزنك إلى عمل . المعامل تحتاج جهدك فلا تستسلم للأحزان .. المصانع تحتاج جهدك فلا تستسلم للأحزان .. كل شبر من ثراك المغتصب يحتاج جهدك فلا تستسلم للأحزان .. كل طفل وطفلة مشردة .. كل قرية ومدينة محتلة تناديك أيهـــا الشباب العربي الحزين وتستصرخك كفى حزناً وهيا إلى العمل !!!

استحلفك بالله أيها الشباب العربي الحزين ألا تستسلم للأحزان أو اليأس .. واعرف من أنت !! ومن آباؤك ومن أجدادك .. وما هي الرسالة التي حمَّلها الله إياك في هذا العالم .. وإياك أن تقعدك نتائج كامب ديفيد عـــن مواصـــلة كفاحك حتى تلقى الله وهو عنك راض . ﴿ ... **وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ** ... ﴾ [يوسف : 21] .